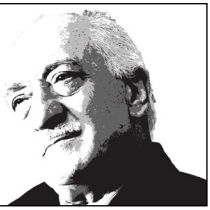

حوار مع قناة «بي بي سي» الفضائية[٣٨]

س: حكومة العدالة والتنمية تُفِيد بأنها تقوم بحركة تصفية ضدّ وكلاء النيابة ورجال الأمن المرتبطين بحركة الخدمة. هل هذا يقلقكم؟ هذه التصفيات داخل الدولة ما مدى إضرارها بحركتكم؟

ج: كل ما هو خطأ يزعجنا، ولكن ليس من الصحيح التسليم بأن جميع مَن تَعرَّضوا للتصفية ومن نُقِلوا إلى مواقع أخرى ينتمون إلى الحركة. أحسب أن من بين هؤلاء الرجال يساريين وليبراليين وقوميين. وليس بمقدرونا أن نرفع إعلانات للناس نقول لهم فيها «حذار ثم حذار.. إياكم أن تتعاطفوا معنا، إياكم أن تحبوا هذه الخدمة وهذه الحركة»، ولسنا مكلَّفين بذلك، ومن الطبيعي أن يشعر بعضهم بتعاطف. كما قلت من قبل، لا أعرف واحدا في الألف من هؤلاء الذين شـَّتتُوهم في الشرق والغرب، ولا أبالغ في ذلك، لأن الله سيحاسبني على ما أقول.

ولكن فيما بعد قد يظهر ذلك جليًّا، هؤلاء الناس، أي وكلاء النيابة، القضاة، رجال الأمن، عندما يطالبون بالعودة إلى مواقعهم لعلّهم يكشفون عن حقيقة انتماءاتهم، فيقول بعضهم مثلًا: ''أنا إنسان في التيار الفلاني، أو أفكر في الاتجاه الفلاني''. عندئذ لن نخجل نحن، ولكن البعض

(٣٨) أجرى الحوار: تيم فرانكس وكوني يلديز، بي بي سي، ٢٧ كانون الثاني/يناير ٢٠١٤م.

obeikandl.com

سيخجل حتمًا. في الوضع الراهن احترق الأخضر واليابس، كما يقول المثل التركي. وأعتقد أن المسؤولين أنفسهم عندما يقفون أمام ضمائرهم وجهًا لوجه، سيحاسبون أنفسهم على ذلك.

س: هل تشاركون الرأي القائل بأن هذه الفترة هي أصعب فترة مرت على «الخدمة» طوال ٥٠ سنة من تاريخها؟ وهل ترون تشابُهًا بين ما تعيشونه وما عاشه سعيد النورسي سابقًا في عهد حكم الحزب الواحد؟

ج: عندما لا تتحركون وَفْقًا لتصوراتهم ومشاعرهم يَعُدُّون ذلك جريمة، وما نعيشه قد يكون نتيجة خطأٍ ارتكبناه. أما أنا فقناعتي الشخصية أن ما نعيشه اليوم عقاب من الله لنا. ذكرتم بديع الزمان، فهو يقول:

> ''الآن أدركتُ حكمةَ الأذى والتعذيب الذي تَعرَّضتُ له منذ سنوات. فبدا لي أن جريمتي أنني استعملتُ الخدمة الإيمانية أداةً لارتقائي المعنويّ''[٣٩].

أي كان ينبغي أن أبتغي وجه الله فحسب، وأتحرَّى الإخلاص في ما أقوم به. ما أفعله يجب أن يُفِيد الإنسانية، ينبغي أن تجد الإنسانية فائدة لها في ما أفعل. فلو نذر الإنسان نفسه للدين بُغْيَة التحليق في الهواء والمشي على الماء، فإن ذلك مناقض للإخلاص، ومن ثَمَّ يستحقُّ عقاب الله.

وجاء في آية كريمة: ﴿**مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا**﴾ (سُورَةُ النِّسَاءِ: ٤/٧٩). فنحن نقول إننا ملتزمون بالسير على صراط مستقيم، ونؤكِّد أننا سائرون في سبيل الناذرين أنفسَهُم لله، ولكن لأننا لم نتصرف بما يليق بتصرُّفاتِ من نذروا أنفسهم لله حقًّا، فلربما ينبهنا الله بهذه اللطمات. ولكن لا يعني هذا أن تصرُّفات الآخرين صحيحة، فالله سيحاسبهم كذلك على ما فعلوا.

(٣٩) انظر: بديع الزمان سعيد النُّورْسِي: سيرة ذاتية، ص ٤٧٥.

س: كيف تقيّمون فضائح الفساد في تركيا والتطوُّرات التي واكبت تلك القضايا؟

ج: لست أدرى من أين أبدأ، لكن يبدو أن فسادًا قد وقع. ، الجميعُ تقريبًا يؤكِّد ذلك ويرى حقيقة المسألة ويعرفها، ولا يمكن لأحد أن يغيّر الحقيقة. ولكن يبدو أنه كان في باطنهم (أي الحزب الحاكم) انزعاج من هذه الحركة، فتَذَرّعوا بفضائح الفساد للحسم في أمرها. ولكن كان الضحيةَ القضاةُ ووكلاءُ النيابة الذين أجْرَوا هذه التحقيقات، فدفعوا الثمن بأن شُتِّتوا ذات اليمين وذات الشِّمال. وهؤلاء الناس عندما يعودون إلى مواقعهم، سيُفصِحون عن اتجاهاتهم. وسيرى الجميع أن من بين هؤلاء القضاة ووكلاء النيابة والشرطة مَن هو قوميٌّ، ومَن هو علماني. ولكن أرادوا أن يضخّموا المسألة ويزيدوها غموضًا، فادَّعَوا أن هؤلاء دولة بديلة أو دولة موازية تَسرَّبوا في بعض المواقع ونَفَذُوا إلى بعض الأماكن بالكامل، وادَّعَوا أن هؤلاء (الذين شردوهم) متجانسون فيما بينهم ويحملون نفس الأفكار ونفس العواطف. أعتقد أنهم انتهزوا هذه الفرصة واستغَلُّوا هذه الفضائح للبَتّ في أمرٍ كانوا يُخْفُونه في باطنهم من زمان، فلجَؤوا إلى المبالغة والتضخيم، وأرادوا أن يشحَذُوا قواعدهم الشعبية بمناورة حاسمة من هذا القبيل، وبالأخَصّ مع ظهور فرصة فريدة كهذه.

ومَن يدري؟ لعلهم يشعرون بالندم يومًا ويبكون على تصرُّفهم هذا ويعبّرون عن ندمهم وأسفهم، لأننا سبق أن تَعرَّضنا لتجارِب مريرةٍ مماثلة انتهت بالندم، إذ أرسل إلينا مئات من الناس إيميلات قالوا لنا فيها: ''سامحونا، فقد ظلمناكم''. حدث هذا في أيام سلطة العسكر وفي عهود أخرى حينما أراد بعض القوى الغاشمة أن يفرض وصايته على الجميع. تكرَّر ذلك في فترات عديدة من دورة التاريخ، لا سيما في التاريخ القريب.

وسيندم بعض من هؤلاء ويسعى لتصحيح ما قاله اليوم. بَيد أن المسألة في هذه الأيام سائرة في الاتجاه المعروف، لا سيما في وجود إعلام منحاز للحزب، وأقلام مناصرة تحرِّف بعض المسائل وتموِّه الحقيقة.

انتهاكات للديمقراطية وانتهاكات للقانون

وقتها كنت هنا (في أمريكا)، وسُمِّيَت بـ«عاصفة حزيران»، كانت سنة ١٩٩٩م. وسائلُ الإعلام حينئذٍ فعلَت نفس ما تفعله اليوم، والمحاكمة استمرَّت ما يقرب من ٨ سنوات، ثم انتهت ببراءتنا. ومحكمة التمييز صدَّقَت على الحكم. وقد ألَّف أحد الباحثين الأكاديميين من هنا (من أمريكا) كتابًا حول مسار تلك القضية والمحكمة، حتى إنه سجّل في كتابه عديدًا من الأحداث التي نسيتها أنا شخصيًّا، أي إننا عشنا مثل هذه المكابدات مِرارًا، واليوم نعيش واحدة من تلك المآسي. ويبدو أنها ستتكرر فيما بعد كذلك، لكن هذه الأحداث -في رأيي- تُعرِّض تركيا لخسائر كبيرة، وستنعكس آثارها على نظرة أمريكا والاتحاد الأوربي إلينا بصورة سلبية، لأن الأخطاء التي تُرتَكَب مناقضة للديمقراطية، ومناقضة للقضاء والقانون، وذلك أمر يتفق عليه الجميع تقريبًا في هذه الأيام.

ولكن هل يمكن تقويم ما اعوَجّ بشكل سريع؟ هل تعود الأمور إلى نصابها من جديد؟ نعم، إذا كان الإنصاف سيد الموقف. هذا الفقير لم أتفوَّه بأي كلمة حتى من باب الدفاع عن النفس، لا سيما وأنني كنت مريضًا بعض الشيء. وأنا مُصِرٌّ على أن لا أقولَ شيئًا في هذا الموضوع. ولعلّ بعض الأصدقاء يكتفي بنشر بعض التوضيحات والتصحيحات والتكذيبات فقط. فالذين يُنظَر إليهم على أنهم جزء من هذا الخير أبدَوْا بعض التصريحات، لكنني لم أُعرِب عن أي فكرة حول الموضوع ولم أعلِّق بشيء، وسوف أبقى كذلك. أجل، لن أقول شيئًا بعد اليوم.

س: رئيس الوزراء ليس وحده من يتَّهم حركتكم بتشكيل «دولة موازية»، تقول جهات أخرى الشيء نفسه، كما يقولون إنه لا يمكن أن تنطلق أي ملاحقة فساد ما لم تصدروا أوامر بذلك.

ج: وسائل الإعلام تناقلت خبرًا عن أنهم (الحكومة) كانوا على علم بمسألة الفساد والرشوة مُسبَقًا. المخابرات الوطنية سبق أن أخبرتهم بذلك قبل ٨ أشهر(٤٠)، المخابرات مؤسَّسة تابعة للسيد رئيس الوزراء، وسبق أن أخبرَته بذلك. إذن توجَد متابعات، وتوجد تحرِّيَات، وقد نفّذ المسؤولون العملية وَفقًا لِمَا يفعلونه في العادة. هذا يشبه تماما ما حدث لأحد أصدقائنا قبل أيام، يقول: ''كنت أسير بسيارتي في الشارع، فتوقفت في الضوء الأحمر، فجاءت سيارة شرطة كانت تسير بسرعة زائدة فصدمت سيارتي من الوارء، فجاءني الشرطي يضايقني، وصرخ في وجهي قائلًا ''لماذا توقفت؟ أنت سبب الحادثة''، قلت له لا أعرف قانونًا ألغى وجوب التوقُّف في الضوء الأحمر، لذلك توقفت، معذرة إن كنت أخطأت''.

محاولات لإظهار الرشوة على أنها شيء عادي

المعروف أن الرشوة والتهريب والالتماس والوساطة وإدخال الفساد في المناقصات جرائم في حد ذاتها، ومن ثَم عندما رأى رجال القضاء والأمن -المنتمون إلى اتجاهات فكرية شتَّى- هذه الانتهاكات تَحرَّكُوا وَفْق القانون فقبضوا على المجرمين، لكن من أين لهم أن يعلموا أن هذه الانتهاكات لم تعُدْ جرائم؟! ولأنهم لم يعلموا ذلك تَورَّطُوا في هذا الخطأ.

(٤٠) نشر الموقع الإلكتروني التركي (*T24*) وثيقة في ٠٥ يناير ٢٠١٤م، كشف فيها عن أن الاستخبارات التركية أعدت في ١٨ أبريل ٢٠١٣م تقريرا من ٣ صفحات مشفوعًا بالوثائق، أخبرت فيه رئيس الوزراء -حينها- رجب طيب أردوغان بعلاقة رجل الأعمال الإيراني «رضا ضراب» ببعض وزراء حكومة العدالة والتنمية وأبنائهم. (*http://t24.com.tr/haber/8-ay-onceki-mit-raporu-bakanlarin-zarrabla-iliskisi-ortaya-cikarsa,247680*)

يبدو أن تحقيقات الفساد أزعجتهم (الحكومة)، لذلك اختزلوا الموضوع في الترويج لتهمة «الدولة الموازية»، بينما الواقع في الأصل أنها سلسلة من المساوئ مثل فضائح الرشوة وإدخال الفساد في المناقصات، لكن لا أحد يتحدث عن ذلك أبدًا، بل كأنها مسائل عادية، أو هكذا يُراد لها أن تكون. لا يمكن أن يحصل هؤلاء الرجال على أوامر منّي. فما إن حصلت تحقيقات في مدينة ما حتى بادروا إلى التدخل فورًا والتضييق على الشرطة ووكلاء النيابة والقضاة، وأقالوهم ورموا بهم بعيدًا. وقد سبق أن فعلوا بهؤلاء الرجال نفس الشيء قبل فترة. هؤلاء في الأصل كوادر أَتَوْا بهم هم أنفسهم. وأعتقد أن الموظفين الجُدُدَ لو فعلوا شيئًا مماثلًا فسيُقِيلُونهم فورًا ويأتون بآخرين بدلًا منهم. أعتقد أن هناك فوضى من هذا النوع اليوم. من ثَم فلا علاقة لي بالموضوع قطعًا، وكما قلت في مناسبات عديدة، أنا لا أعرف ولا واحدًا في الألف شخص ممن أَجْرَوا عمليات التحقيق تلك، وأؤكِّد ذلك بكل وضوح واطمئنان.

س: لقد ذكرتم مِرارًا رغبتكم في إبعاد حركتكم عن السياسة ما أمكن، وقد أصبحت الحركة الآن في مركز النقاشات السياسية، هل شعرتم بالندم من ذلك؟

ج: لم أشعر بأي ندم قَطّ، ولا أنتقد القدَر أبدًا. وإذا خطر على بالي أيُّ نقد للقدر أعود فأستغفر ربي. وكما قلت قبل قليل، إن الله يعاقبُنا بأيدي آخرين لأننا لم ننجح في توثيق ارتباطنا مع الله بالمستوى المطلوب. وهناك عبارة حكيمة حتى يرويه بعضهم حديثًا للنبي ﷺ: "الظالم سيف الله، ينتقم به، ثم ينتقم منه"[٤١]. المسألة ليست مسألة ندم، ولكن أن ننتهز هذه الفرصة لكي نواجه أنفسنا. يُروَى عن سيدنا عمر ﷺ: "حاسِبوا

(٤١) انظر: العجلوني: كشف الخفاء، ٢/٥٧-٥٨.

أنفسكم قبل أن تحاسَبوا"[٤٢]، أنا أنظر إلى المسألة من هذه الزواية. هذا لا يعني في المقابل أن جميع ما فعله هؤلاء الإخوة (في الحكومة) كان صائبًا مئة بالمئة.

س: لقد دعمتم حكومة حزب العدالة والتنمية سنوات عديدة، والبعض يرى أن نزاعكم يعود إلى خلافات حدثت بينكم في حلّ الأزمة الكردية، هل أنتم ضد عملية السلام في المسألة الكردية؟ وكذلك موضوع سفينة «ماوي مرمرة»، وما أعقب ذلك من تدهوُر العلاقات مع إسرائيل، فما تعليقكم؟

سبق أن قلتُ لم نكُن في خطّ واحد بالكامل مع أي حزب سياسي في أي وقت من الأوقات، مهما كان ذلك الحزب.. وقد يكون هذا «حزب الحركة القومية (*MHP*)»، أو «حزب الشعب الجمهوري (*CHP*)»، أو «حزب العدالة والتنمية (*AKP*)»، أو «حزب الطريق القويم (*DYP*)»، أو «حزب الوطن الأم (*ANAP*)». -علمًا بأن الحزبين الأخيرين لا يوجَدان اليوم- لقد اعتبرنا تأييد الإجراءات الصحيحة التي أنجزتها هذه الأحزاب -أيًّا كانت وجهتها- واجبًا إنسانيًّا. بناء على ذلك في استفتاء ٢٠١٠م أدليتُ بكلمات لم يسبق أن قلتُها حتى ذلك اليوم؛ قلت إنه استفتاء من أجل الديمقراطية، وعلى الجميع أن يقول «نعم» للتغيير، أي إن مجلس القضاء الأعلى والمدَّعِين العموميين ينبغي أن يتشكل وفق إطار ديمقراطي.

أجل، لكن لم أكُن أقول تلك العبارات لأول مرة، بل قبل ٢٠ عامًا سبق أن قلت "الديمقراطية مرحلة ينبغي أن لا نرجع عنها"، فثاروا في وجهي وأقاموا القيامة أيضًا، هؤلاء الذين يكتبون اليوم ضدِّي، فاحتجُّوا قائلين: "ما معنى هذا الكلام؟ وهل من صلة بين الإسلام والديمقراطية؟"

(٤٢) سنن الترمذي، صفة القيامة، ٢٥.

ولكن فيما بعد قالوا أكثر مما قلت وذهبوا في ذلك بعيدًا، وقالوا إنه يمكن التفكير في أنماط أخرى كذلك.

من ثم فتشابُه المواقف مع حزب ما، لا يعني أننا في خط واحد، ولكن إذا رأينا أنهم يمثِّلون في إجراءاتهم جزءًا من المعقولية، المعقولية من الناحية الحقوقية، والمعقولية من الناحية الديمقراطية، والمعقولية من ناحية خدمة الأُمَّة، والإيجابية في بناء علاقات طيبة مع دول الجوار، فقد نبدو متشاركين معهم في هذه المواقف، وقد نظهر معًا في نفس الصورة. أما الأصل، فإنه لم يكُن لنا أي صلة مع أي حزب سياسي ما عدا التصويت في الانتخابات، ولم يكن لنا أطماع في السلطة، ولم ندخل في مساومات سياسية مع أحد قط، وإلا فلو أردنا ذلك لوجَّهْنا أناسًا في ذلك الاتجاه، ولشكّلوا العمود الفقري لذلك الحزب، ولكانت هناك أصوات أخرى، لكننا لم نرغب في ذلك قَطّ، لم يكن لنا طموح سياسي ألبتة.

أما عملية السلام في المسألة الكردية أكدتُ مرارًا أن مكان المسلم إلى جانب الصلح دائمًا،[٤٣] فالمسلم رمز الصلح والسلام. الحقيقة أن مشاكل المنطقة (جنوبي شرقي تركيا) تلك قد تراكمت عبر عقود، وقد كان السعي لحلّها يتم بالسلاح دائمًا، وبطبيعة الحال كبُرت المشكلة وتفاقمت. أما الآن، فقد دخلنا في مرحلة صلحٍ وتهدئة، ويجب أن لا نعطل هذه المرحلة، لأنها فرصة كبيرة لكي يعيد الطرفان النظر في الأخطاء التي ارتُكبت، وينسوا العداوة فيما بينهم.

نحن كمجتمع مدني دعمنا عملية السلام قبل الحكومة بزمن طويل. ما يقوم به هذا الفقير مجرَّد تشجيع. سبق أن قدمت للحكومة مقترَحات

(٤٣) ذكر فضيلة الأستاذ فتح الله كولن في حديثه المنشور على موقع *www.herkul.org* بعنوان «في سبيل الصلح دائما» أنه يؤيد عملية السلام التي تقوم بها الحكومة في المسألة الكردية تأييده كل عمليات الصلح والسلام، انظر: *(http://www.herkul.org/herkul-nagme/398-nagme-her-zaman-sulh-yolunda).*

مكتوبة، قلتُ فيها إنه يجب بسْط أجنحة الرعاية على المنطقة (جنوبي شرقي تركيا). يجب رعاية المنطقة على الصعيد التربوي والصعيد الصحي والصعيد الديني وعلى مستوى الأئمَّة والمؤذِّنين، وعلى صعيد جهاز الأمن... والصعيد الثقافي... إلخ. عليكم أن تشملوهم برعايتكم، لأن الناس هناك تَعرَّضوا لمظالم كثيرة، بادِرُوا، وإلا فستُضخَّم المشاكلُ هناك من قِبل بعض الفئات، وتَرثُها الأجيالُ القادمة. ولكن للأسف لم يُولِ أيٌّ منهم الموضوع اهتمامًا.

ولعلَّه مضى على ذلك أكثر من عشر سنوات، فنحن قدَّمنا مقترحاتنا قبلهم بكثير، وعندما لم يسعوا إلى فعل شيء، شجع هذا الفقير الإخوة والأصدقاء والمحبين والمتعاطفين على العمل، فأسَّسوا مدارس عديدة ومعاهد كثيرة لإعداد الطلاب للجامعات والثانويات، وحاولوا أن يقطعوا طريق الإرهاب عبر إقامة أنشطة تربوية. هذا ما حدث فعلًا.

ولكن الغريب أنه لجأ البعض إلى تشويه سمعتنا وروَّجوا أننا ضدَّ عملية السلام. كلاَّ، أبدًا، ولكن مقاربتنا لحل المسألة كانت مختلفة، فنحن ارتأينا أن يكون الحلّ من خلال التربية والتعليم، ومن خلال تأسيس روح التوافق والاتفاق، وكذلك من خلال استثمارات اقتصادية تساعد على إزالة الفقر في المنطقة، وسارت الأنشطة في ذلك الاتجاه بالفعل. ولم تقتصر هذه الأعمال على الداخل التركي، بل انتقلت إلى شمال العراق كذلك، والإخوة أقاموا هنالك نفس الخدمات. أنا لم أذهب ولم أرَ المنجزات شخصيًّا، ولكن ما تمَّ هناك عمل ملحميّ بحقّ.

حقيقة الأمر أن افتراءاتٍ تُلصَق بالخدمة، وتَحدُث تجاوزات واعتداءات، ورغم ذلك فالصواب الذي آمنَّا به وارتأيناه، هو أن نقف كما وقف «جلال الدين الرومي»؛ إذ كانت إحدى رِجلَينا -مَثلنا مثل

البركار- في قلب عالَمنا الفكري وصُلْب ثوابتنا وغايتنا السامية، والرِّجْل الأخرى فتحناها للإنسانية كافةً واحتضَنَّا الجميع. هذه هي الفلسفة التي نؤمن بها، هذا خُلُقنا وهذه هي رؤيتنا إزاء الجميع، جميع الناس. ومن يعرف هذا الفقيرَ عن قُرب يشهد على ذلك يقينًا. فيما بعد جاءت الدولة لتتبنَّى الفكرة، ولكن ليس هذا فقط، بل التقينا مِرارًا جماعات الأرثوذكس والأرمن، الذين هُمِّشُوا وأُقْصُوا في تركيا، فجلسنا على المائدة نفسها وأكلنا من الطبق نفسه. بإذن الله ولطفه، باب التواصُل ذاك فتحه لأول مرة في تركيا إخواننا وأصدقاؤنا وأحباؤنا.

يتحدثون عن بعض المسائل المتعلقة بإسرائيل أو مشروع الشرق الأوسط الكبير، إلخ، ربما التقينا الحاخام في وقت ما، والتقينا «بينتو» رئيس «وقف الخمسمائة عام» في إسطنبول وقتها، و«إسحاق ألاتون (*Alaton*)»، وهو رجل صادق أثنى على الفعاليات التي تنفِّذها الحركة خارج تركيا، وتَصَدَّى أحيانًا لبعض المشكلات هنا، وما فعل ذلك إلا بمشاعرَ إنسانية بحتة. هذا هو كل ما في الأمر، وأعتقد أنه ليس من حقِّ أحد أن يقول كلمة عن علاقة صغيرة كهذه. أما إظهار الحركة كأنها موالية لإسرائيل، وكأنها تفضِّل إسرائيل على أُمَّتِها، فلا يمكن أن يأتوا بشيء يدلُّ على ذلك. أما قبولهم كـ«بشر، وإنسان» كما فعل فخر الإنسانية ﷺ، فهذا موضوع آخَر.

ولكنهم يُسنِدُون ادِّعاءاتهم إلى سفينة «ماوي مرمرة»، فعَقِبَ حوار أُجرِيَ معي سألوني: ''ما تقييمكم للموضوع؟'' قلت: ''حبَّذا لو استُخدِمَت الدبلوماسيةُ إلى حدِّها الأخير ولم يُلجَأْ إلى العنف، لأن ذلك سيؤدِّي إلى مشكلات اجتماعية ومضاعفات أخرى''. لا أدري كيف رَفعت الجريدة كلماتي إلى المانشيت، فكانت التفسيرات في تركيا مختلفة، أي كأنني

وقفتُ إلى جانب آخرين ضد إخوتنا وإنساننا. ولكن لا، إنما أبديتُ قناعتي تلك حتى لا تحدث مشكلات أخرى. ولو حدث الشيء نفسه اليوم لأبديت نفس الملاحظات. في رأيي ينبغي أن تُستَخدَم الديبلوماسية حتى النهاية، وينبغي أن لا يُدفَع الناسُ إلى الجبهة لتُسفَك دماؤهم وتُزهَق أرواحُهم. هذا ما أردتُ أن أقوله حينئذ.

س: أَوَدُّ أن أسألكم سؤالًا آخر لكي تزيدوا من توضيح أفكاركم المتعلقة بالمشكلة الكردية. قلتم إنكم سبقتم في التحرُّكِ في حل المشكلة الكردية وفتحتم مدارس هناك، ولكن لم يُعِر المسؤولون الموضوعَ اهتمامًا في تلك الأيام. ولكن رغم ذلك فيما بعد، لا سيما في السنوات الخمس الأخيرة، أُسنِدَ إليكم بعض العمليات، مثل التحقيقات الأُولَى حول اتحاد التجمُّعات الكردية، وتسريب مفاوضات أوسلو الثانية[٤٤]، ثم العملية التي استهدفت جهاز الاستخبارات التركية في ٧ فبراير ٢٠١٢م. وقد أعربتم في حوار لكم عن حقّ الأكراد في استخدام اللغة الكردية. فما موقفكم من عملية السلام والمفاوضات الجارية مع حزب العمال الكردستاني؟

ج: يمكن التفاوض مع التنظيم «حزب العمال الكردستاني»، لا نرى في ذلك بأسًا، لكن بشرط الحفاظ على مكانة الدولة ووقارها، وإلا فسيأتي التاريخ غدًا فيقول عن المفاوضين: «هذه هي البِنْيَة الموازية»، أي التقيتموهم، فأنتم تعاملتم مع «الدولة الموازية». ولا أعلِّق على ذلك، فقد قالوا عن الرجل «عبد الله أوجلان (*Öcalan*)» قاتل الأطفال، وإرهابيّ، ثم عندما اعتقلَته الدولة اعتقلَته بوصفه إرهابيًّا، وأتت به إلى تركيا. ومحاكم

(٤٤) مباحثات أوسلو (*Oslo*): مباحثات ثنائية جرت بين «حزب العمال الكردستاني» والاستخبارات التركية. وليس من المصرح تماما متى بدأت وهل انتهت أم لا؟ تلك المباحثات التي أجريت في مدينة «أوسلو» العاصمة النرويجية. وقد نشر قسم من تسجيلات المباحثات في أحد المواقع المقربة من حزب العمال الكردستاني.

تلـك الأيام حكمت عليه بالسـجن، ولـم تكُن الحكومـة الحاليَّة موجودة آنذاك، الحكومة السابقة سجنَته.

نحـن لـم يكُن لدينا تحرُّكات ضدَّهم، ولكن هـؤلاء يتصرّفون ضدّنا، لا سيما في هذه الأيام. والحكومة الحاليَّة في تركيا أعتقد أنها لكي تضمن مسـتقبلها في المنطقة تحاول أن تسـتدرج أبناء المنطقة إلى جانبها، فتُظهِر تعاطُفًا وتعاوُنًا معهم، وتسـعى إلى أن يدفـعَ الفاتورةَ ما سـمَّوْه «الجماعة» أو «الجامعة» أو «الحركة».

أنـا لم أُدْلِ بأي تصريح فـي هذا الأمر، لكنهم أعلنوه إرهابيًّا في وقتٍ ما، وحكموا عليه بالسـجن المؤبد، بل نُوقِشَت مسألة إعدامه في وقت ما. ولكن بسـبب الموقف الصارم للاتحاد الأوروبي حـول الإعدام لم ينفِّذوا ذلـك الحكـم، حتـى إن حزب الحركـة القومية احتجَّ علـى ذلك، وحزب العدالـة والتنميـة كان موقفه مماثلًا لموقف حـزب الحركة القومية. ولكن فيما بعد تَغَيَّر موقفهم، لماذا؟ لا أدري. هل لكي يُظهِروا تعاطفهم مـع أهل المنطقة لاستثمار ذلك في الانتخابات؟ إذا قلتُ ذلك فسأكون أسأتُ الظنّ.

الحقيقـة أن شـعبنا أُمَّـة واحـدة بكُرْدِهـا وتُرْكِهـا ولازها وشركسـها وأبخازهـا، كلهـم أهـل الأناضول، وكثيرًا ما نسـتخدم هـذا التعبير. وهذا المفهـوم فـي غايـة الأهميـة فـي أدبياتنا، لأنـه يعبّر عـن وَحدَتنـا وتآلُفنا. لـم نعـارض مفاوضات أوسـلو قَطّ، ولا اللقـاء مـع زعيم حـزب العمال الكردسـتاني (عبد الله أوجـلان)، ولا المفاوضات مـع ميليشـيات الجبل. وسبق أن قلت في حوار أُجرِيَ مـع هذا الفقير قبل فترة وجيزة إن "الصلح هـو الأصل.. التوافق هو الأسـاس". والذين يحترمـون هذه الأفكار ربما يمثلـون ٨٠ بالمائـة مـن أبنـاء المنطقة الشـرقية. أما الذيـن يرفضون هذه الأفـكار فهم ميليشـيات الجبل، وكذلك مَن تأثَّروا مـن إيران، وتأثروا من

النظـام السـوري. هؤلاء فقـط ينزعجون من هذه الأفـكار، أي إن «جميل بايـق (*Bayık*)»[٤٥] ينزعـج، و«فهمـان حسـين»[٤٦] ينزعج، والميليشـيات التابعـة لمنظمـة «بيجاك» في إيـران ينزعجون. ما سـبب الانزعاج؟ هو ما يُقال دائمًا، أي ''تريدون أن تمحوا الهوية الكردية''، بينما بيَّنتُ وشجَّعتُ مـرارا ونصحـتُ مَن جاء ليلقاني من المعنيين بـأن تُقدَّم دروس كردية في التليفزيون وأن تؤسَّـس قناة تليفزيونية تخاطبهم. وكذلك أن تُدَرَّس اللغة الكرديـة فـي المـدارس لغةً اختياريـةً، وأن تُـدَرَّس أيضًا فـي الجامعات. إن جميـع هـذه الأفـكار المعقولـة والضروريـة للمنطقة التـي اقترحناها لو جُمعت فربما شكَّلَت مجلَّدًا كاملًا. ولكن لا أدري سبب تشويه سُمعة الحركـة وشـيطنتها لدى أهـل المنطقة. لقد اسـتهدفَتنا مجموعـة إعلامية منحازة، ورُوِّجَ أن «الخدمة» ضدَّ عملية السلام.

لا شـكّ أن «عبد الله أوجلان» كان مسـتاءً من الخدمات التي نقدِّمها لمواطنينا الأكراد في المنطقة، أي كانوا مستائين من تأسيسنا مدارس التقوية والمراكـز الثقافيـة، لأنهـا تقطـع الطريق أمـام الذهاب إلى الجبـال، كانوا مسـتائين لأننا نسـاعد هؤلاء الفقراء، وميليشـيات الجبال كانوا منزعجين كذلك، وميليشـيات أكراد سـوريا، وعناصر «حزب الاتحـاد الديمقراطي (*PYD*)» السـوري كذلك كانوا منزعجين، وميليشـيات «بيجاك» في إيران كانوا مستائين. يطمعون في أن لا ينقطـع طريق الصعود إلى الجبال، لذلك ينزعجون من كل شـيء يؤدِّي إلى توحيد الأُمَّة وتأسـيس الأُخُوَّة والتوافق

(٤٥) جميل بايق (*Cemil Bayık*) اسمه الحركي هو «جُمْعَة». وهو أحد الخمسة المؤسسين لحزب العمال الكردستاني الذين لا يزالون على قيد الحياة. يشكّل هو ومراد قارا يلان (*Murat Karayılan*) وباخوذ أردال (*Bahoz Erdal*) مجلس إدارة حزب العمال الكردستاني. فضلا عن أنه أحد أعضاء المجلس التنفيذي لمنظمة اتحاد الجماعات الكردية، وله تأثير على المنظمة من الناحية العسكرية والأيديولجية لا يزال مستمرا.

(٤٦) فهمان حسين (*Fehman Hüseyin*)، يعرف حركيا باسم «الطبيب باخوذ أردال». وهو أحد القادة رفيعي المستوى في حزب العمال الكردستاني. درس الطب في دمشق. وتولى هو و«مراد قارا يلان» و«جميل بايق» إدارة ومراقبة تشكيلات المنظمة عقب القبض على «عبد الله أوجلان» في ١٩٩٩م.

بيـن الأتراك والأكراد. يرغبون في أن يبقـى الحقد والكراهية ضدَّ الأتراك مشتعلًا في القلوب، ولا يريدون وقوع شيء يمهِّد للسلام والتآلف أبدًا.

س: هل سـبق أن صوّتّـم في الانتخابات؟ وهـل تُوجّهون محبيكم لكي يصوّتوا لحزب بعينه؟

ج: شخصيًّا لم يُكتَب لي نصيب للتصويت إلا مرة واحدة طوال حياتي، لأنني كنت إمَّا في السجن، وإمَّا مطارَدًا، وإما محرومًا من استخدام حقوقي الشخصية، لذلك صوَّتُّ مرة واحدة فقط. في ذلك الوقت رشَّح المرحوم تورغـوط أوزال نفسـه لعضوية البرلمان من محافظـة إزمير، وكان وقتذاك منتميًا إلى حزب نجم الدين أربكان. «يشار توناكور (*Yaşar Tunagür*)»[٤٧] كذلـك كان شـخصية مهمـة، وقد كان مُفتِيًا في مدينـة أدرنه عندما عملتُ إمامًـا فيها. وكلاهما كان قد تَرَشَّـح لعضويـة البرلمان من إزمير. في تلك الانتخابـات صوَّتُّ، صوَّتُّ لهما، بعـد ذلك لم يكُن التصويت من نصيبي مـرة أخـرى. ولكنني لم أكُن ضدَّ الانتخابات أو التصويت قط، ولم أقصد مقاطعتهـا مُطلَقًـا، بـل إن ذلك حـقّ ديمقراطي، وأحـث الجميـع على أن يمارس هذا الحق.

أمـا اليـوم، خلافـا لما فعلـت في الاسـتفتاء الأخير، فـلا أفكِّر في أن أقول شـيئًا. مسـألة الاسـتفتاء كانت قضية أخرى. ولكن إن كان لا بد من قـول شـيء فأقـول: ''أيّدوا من سـيقف وقفة رجولة في الدفـاع عن الحقّ والحريـات الأساسـية والقانون والشـفافية وروح التوافـق والديمقراطية، أيّـدوا من كان صادقًا مخلصًا سـديدًا، أيّدوا مـن كان موقِّرا للديمقراطية، أيّدوا من يحسـن التعامل مـع الجوار، صوِّتوا لمن يحمل هذه الأوصاف،

(٤٧) عمل الأستاذ «يَشَارْ توناكور (*Yaşar Tunagür*)» ١٩٢٤-٢٠٠٦م نائبا لرئيس الشؤون الدينية في الفترة ما بين ١٩٦٥-١٩٧٢م في تركيا. وقد تعرف إلى الأستاذ فتح الله كولن حين كان مفتيا في مدينة «أدرنه».

أي إن الأوصاف هي المعيار''. أما تعيين حزب ما باسمه، فإني أَعُدّ ذلك إهانة منّي لفراسة الناس وعقولهم. الجميع يرى كل شيء بوضوح، لذلك لا يمكن أن أُكرِه أحدًا على أن يختار حزبًا بعينه.

س: تتحدثون عن حوار الأديان على مستوى العالَم، بينما في تركيا هوة واسعة بين السُّنَّة والعلويين، وأعتقد أن حديثكم عن مشروع «المسجد وبيت الجمع جنبا إلى جنب»[٤٨] يعود إلى سنة ١٩٩٥م، ولكن عندما نُفِّذَ المشروع عبَّر بعض العلويين عن مخاوفهم من التعرُّض لموجة قوية من ذوبان الهُوِيَّة. كيف يمكن أن تجيبوا عن مخاوف العلويين تلك؟

ج: أعتقد أنه ليس كل العلويين يفكرون كذلك، بل يُبدِي بعضهم تقديرَه لهذه المبادرة، لا سيما بعض المعروفين في تركيا، مثل «البروفيسير عز الدين دوغان (*Doğan*)». معرفتنا تعود إلى سنوات عديدة، والتقينا مِرارًا. ذهبت إلى بيته لزيارته، وهو كذلك جاء لزيارتي. وقلنا فيما بيننا في ذلك الوقت إن مشروعا كهذا سيواجه مشكلات بلا شكّ. لقد آمنَّا بأن هذه المبادرة مهمة جدًّا لتأسيس الوحدة والتآلف بيننا وبين إخواننا العلويين، لا أدري هل أخطأنا في هذا، فالإنسان خَطّاء، لكن كثيرين رحَّبوا بالمشروع وأيَّدوا المبادرة.

نعم، تَحَدَّثَ البعضُ عن ذوبان الهُوِيَّة، ولكن كان هؤلاء ممَّن لا يعرفون سيِّدنا عليًّا ﷺ أصلًا، ويُدْعَون في الغالب «علويين بلا عليّ»، أي إن سيدنا عليًّا -حسب اعتقادهم- بطل رمزي فقط، قد ثار على بعض الأمور، لذلك يستحقّ التقدير والاحترام. أما موضوع ''كان عليٌّ مسلمًا، وكانت أفكاره كذا وكذا'' فيقولون ''هذه قضايا لا تهمُّنا أصلًا''.

(٤٨) انظر هامش رقم ٢٣.

المعارضون في الغالب كانوا من هذا النوع. أعتقد أنه سيأتي يوم يندم فيه هؤلاء كذلك على معارضتهم. لماذا؟ لأن مبادرة ''المسجد وبيت الجمع جنبا إلى جنب'' لم تنطلق لاستيعاب أحد أو محو هُوِيَّته. ولكن الواقع أنه منذ سنوات لُقِّنَ أهل السُّنَّة بعضَ المخاوف، مثل: ''سيأتي العلويون ويأكلونكم مثل آكلي لحوم البشر''، وكذلك قيل للعلويين: ''سيأكلكم أهل السُّنَّة مثل آكلي لحوم البشر''. ولما مارست الدولةُ التركية عليهم بعض أعمال القمع في سنتَي ١٩٣٧ و١٩٣٨م، لا سيما في ''أحداث درسيم (*Dersim*)»[٤٩]، تسبب ذلك في جروح غائرة، وأدَّى إلى تبنِّي هؤلاء هذه الأقوالَ والأفكارَ الزائفة.

الزمان سيُرِينا أُخُوَّة أهل السُّنَّة والعلويين

إن هذا المشروع يعني أن من أراد أن يذهب إلى المسجد ليصلِّي يفعل، ومن أراد أن يذهب إلى بيت الجمع ليقيم مراسم «السَّمَاح» يفعل كذلك. وعندما يخرجون سيلتقون في مكان مشترَك، ويأكلون الطعام معًا، ويشربون الشاي، ويجلسون معًا، فيرى الجميع أنهم لم يأكل بعضهم بعضًا. فالأكل المتبادَل أصبح من المسلَّمات اللاشعورية، بحيث يراه الناس في أحلامهم، ويحلمون به في قيامهم وقعودهم. ما مدى صحة تلك المخاوف؟ الزمان سيرينا ذلك.

فضلًا عن أن مبادرة من هذا النوع قد تَمَّت في تركيا قبل ٢٠ سنة، والإعلام نشر ذلك، أي إن الموضوع ليس جديدًا أو مُحدَثًا، لكنه تحوّل إلى مادة إعلامية، ولعل ذلك كان لصالح المشروع، ومن ثم يمكن إنشاء مشروع آخر مماثل له، فإذا كان هذا في أنقرة فيمكن التفكير في تنفيذه

(٤٩) اسم يطلق على الأحداث التي وقعت نتيجة خلافات بين الحكومة المركزية وعشائر «درسيم (*Dersim*)» في ١٩٣٧-١٩٣٨م؛ حيث قام الجيش بتنظيم مجموعة من العمليات العسكرية بهدف بسط سيادة الدولة في «درسيم». وقد قتل خلال هذه الأحداث أكثر من ١٣٠٠٠ مدني و١١٠ جنود، وهُجّرَ ما يقرب من ١٢٠٠٠ مواطن قسرا.

في «إزمير»، وفي «إسطنبول» كذلك. وبالتأكيد سوف يفكِّر البعض في إقامته في أماكن يعيش فيها إخواننا العلويون بكثرة. وسوف تُمنَح لهم الإمكانيات التي مُنِحَت لمؤسَّسة الشؤون الدينية، أي سيأتي مشايخهم ويشرفون على العمل وتُوضَع لهم رواتب، فيمارسون قيمهم وعاداتهم ويمثلونها هناك. وكذلك يمثِّل أهل السُّنَّة قيمهم، فقد استهدفت المبادرة تأسيس هذه الأُخُوَّة على أرض الواقع، ولا يحمل أحد فكرة استيعاب أو إذابة أحد.

إضافة إلى ذلك، بما أن العلوي متعاطف مع سيّدنا عليّ ﷺ ومُحِبٌّ له، فقد سعى الفُرس مِرارًا إلى استغلال هذا المدخل، فذهبوا بالناس من تركيا إلى مدينة «قُم» ، ومَن عاد إلى تركيا عاد يحمل في قلبه عداءً للمجتمع التركي، بينما الفرق شاسع بين العلوي في الأناضول وشيعة إيران. فالعلويون في تركيا يحترمون تقاليدنا التي تعود إلى أكثر من ألف عام. كما أن لهم مراسم وطقوسًا خاصة بهم تشبه مراسم "السماع" لدى مولانا جلال الدين الرومي، وينبغي أن لا ننظر إلى هذه الفروق كأنها أسباب للنزاع، بل ينبغي احترامها. أما الأوهام والهواجس المثارة فالزمان سيُثبِت لنا مدى صحتها. الزمان سيثبت لنا أنه لا أحد منا يهدف قطعًا إلى محو هُوِيَّة آخَرَ.

س: ما هي المشكلات الملحة والعاجلة في تركيا من وجهة نظركم؟

ج: لعل المشكلات الأكثر عاجلية، هي الموضوعات التي ما زالت تحافظ على أهميتها حتى الآن؛ وهي النزاعات والخلافات والتفرقة. ولقد تَطرَّق إلى النقاط ذاتها ذلك الإنسان العظيم (بديع الزمان سعيد النورسي) في بداية القرن العشرين. إننا نعاني من ثلاثة أمراض: الأول «نزاعات» لا تستند إلى معنى معقول أو منطقي، ولكنها تُثِير الناس ليأكل بعضهم

بعضًا. هذا مرض ينبغي إزالته. فإذا كانت إزالته ستتمُّ عن طريق مبادرات مثل «المسجد وبيت الجَمْع جنبا إلى جنب» فعليكم أن تفعلوا ذلك، وإذا كانت إزالته في النزاع التركي الكردي ستتم من خلال أنشطة التربية والتعليم، ومن خلال فعاليات أخرى تنقذهم من أيدي مَن يريدون أن يمزّقوا تركيا ويقسّموها، فستفعلون ذلك.

ثم إشكالية «الفقر».. هذه الإشكالية أيضًا ذكرها الأستاذ النورسي، وينبغي إزالتها، فهي مرض آخر. ثم هناك إشكالية «الجهل». فهي ثلاثة أمراض أكّد ذلك الرجل العظيم ضرورة إعلان الحرب ضدَّها منذ ذلك الوقت. وأعتقد أن الوضع اليوم لا يختلف عما كان عليه سابقًا.

شخصيًّا أيقنت دائمًا أن التعليم هو أفضل وسيلة لتنشئة الأفراد وبناء قاعدة صلبة مستقرة للمجتمع. كل مشكل اجتماعي يبدأ من الفرد، ولا يمكن حَلّه على المدى الطويل إلا من خلال حله على مستوى الفرد. أما الحلول التي تعتمد على منطق التغيير الفوقي فمصيرها يكون دائمًا الفشل، خصوصًا إذا أَهملتِ الفرد. ولذلك كانت دعوتي في الأول والآخر للتعليم. وهذا ما شجّع كثيرًا من الناس الذين التقت أفكارهم مع أفكاري على إنشاء مؤسسات تعليمية مختلفة. فكانت هناك بيوت الطلبة، ومراكز تحضير للامتحانات، ومدارس خاصة، ومراكز دعم مجانية. وقد مكّنت هذه المؤسسات شرائح مجتمعية واسعة من الحصول على تعليم رفيع الجودة، الشيء الذي كان -ولحدّ الآن- متوفرًا فقط لقلة محظوظة.

أجل، يمكننا استخدام أساليب متنوعة ومناهج شتى حسب اختلاف الأوضاع وتغيُّر الظروف. قديمًا لم يكُن يخطر على بال أحد تأسيس مدارس تقوية ومراكز ثقافية ومؤسسات أخرى، فالأصل أن يُنظَر إلى ظروف اليوم وما تقتضيه الحاجة، ثم أن يُسعَى في ذلك الاتجاه. أما هذا الفقير فدوري

لا يعدو أن يكون تشجيعًا. مثلًا عندما تَفكَّكَت روسيا سنة ١٩٨٩م، وجدنا أن في آسيا الوسطى كثيرين من أبناء أمتنا، فجذورنا تعود إلى هناك، فقد جاء بعضنا من أوزبكستان وبعضنا من تركمانستان، وهكذا، فقلنا نشمل هؤلاء الناس برعايتنا. في البداية ذهب ربما خمسة رجال أو عشَرة، ثم تَحوَّل ذلك إلى طريق مسلوكة، فذهب على أثرهم آخرون، ثم آخرون، ثم أعقب ذلك هجرات إلى أنحاء العالم كله يحملون مشاعل المحبة. وبإذن الله وعنايته، وعلى غرار ما يقول مولانا جلال الدين الرومي: ''لا يَنقُص نورُ الشمعة إذا أشعلت شمعة أخرى''، أي إذا كنا نملك قِيَمًا طيبة تفيد الآخرين فلنأخذها إليهم، وإذا كان لديهم قِيَم طيبة فلنأخذها منهم، فبابنا مفتوح للأخذ والعطاء. فرَحَّب بهذه الفكرة كثيرون ممن ينتمون إلى اتجاهات فكرية شتَّى. وجدوها معقولة، ووجدوها منسجمة مع المنطق، حتى إنه تَطوَّع كثيرون وتَقدَّموا بمقترَحات باهرة عجيبة. بعضهم قال: ''سأُسهِم ببناء جامعة''، وبعضهم قال: ''سأبني مدرسة''، وهكذا سارت الأمور.

س: بعض الشخصيات سواء من حركة «الخدمة» أو غيرهم أفادوا بأن التوتُّر السائد لن يخِفَّ حتى انتخابات رئاسة الجمهورية، ولن يسود الصلح حتى ذلك الوقت، من ثَم كيف ترَون المستقبل القريب لتركيا و«الخدمة»؟

ج: من الصعب إخماد نار التصعيد وروح الحقد والكراهية التي أثيرت في فترة قصيرة. فقد جُرحَت كرامة بعض الأبرياء وأُهِينَت شخصياتهم. لا يمكن إزالة آثارها دفعة واحدة. يصعب أن تعيدوا كل شيء إلى ما كان عليه سابقًا من انسجام وتناغُم. لكنني لم أفقد الأمل قط، لذلك أومن بأن ذلك يمكن مرة أخرى. تلك الرسالة، الرسالة الأخيرة،[٥٠] كانت تصبُّ

(٥٠) الرسالة التي أرسلها الأستاذ فتح الله إلى رئيس الجمهورية التركية آنذاك عبد الله كول. (انظر عنوان «خطاب من الأستاذ فتح الله كُولَنْ إلى الرئيس التركي» عبد الله كُول» من هذا الكتاب)

فـي ذلك الاتجاه، وقد أرسـلتها مـع صديق ابتعثه رئيـس الجمهورية، هو السـيد «فهمي كورو (*Koru*)»، الذي أعرفه منذ أيام دراسـته الأولى، وأنتم تعرفونه أيضًا. هم رَحَّبُوا بالرسالة، وكذلك سيادة رئيس الجمهورية رحَّب بها. لكن لا أدري هل اختيار رئيس الجمهورية مخاطَبًا أزعـج السيد رئيس الـوزراء، أم أزعجتـه الدعوة إلى توقُّف الأطراف عن سَـبّ بعضهم بعضًا وتوقُّف التشاتُم عبر وسائل الإعلام! لا أدري. وقد تحدّث رئيس الوزراء عـن ذلك صراحـةً، تَحدَّثَ في لقاء، فأعتقد أن في جـواره بطانةً هُمايونية (سـلطانية). أحسـب أن بطانتـه تنقل إليه المسـائل بصورة أخـرى. فمعاذ الله أن أصـف -أنـا- أحدًا باختلال التـوازن أو الجنون. لا يمكن لقلبي أو وجداني أو لسـاني أن يتفوه بشـيء من هذا النوع أبدًا، ولكن أحسب أنهم (بطانته) يوجِّهونه إلى ما يثيره ويستفزه.

عندنا حلم ولن نتخلف عن السعي إلى تحقيقه

لكننـي لـم أفقـد إيماني بأن هذه العواصف سـتهدأ بـإذن الله وعنايته. سـنلتزم بالصمـت إذا اقتضـى الأمر. حتى إننا يمكـن أن نفتح الطريق إلى أبعـدَ من ذلـك: في العام الماضي ذكروا ١٦٠ دولـة فُتحت فيها مدارس، أي أقيمت معها جسور الصداقة وصلة المحبة. ورأينا ذلك في «أوليمبياد اللغـة التركية والثقافيـة»[٥١] بصورة باهرة. ولا أحد يرفض هذه الخدمات، بل يقولون إنها رائعة. فإذا رغبت الحكومة في إغلاق المدارس فإننا نقول لهم: إن شئتم فأغلقوها ولكني أنصحكم بأخذها والاعتناء بها. وإذا أردتم فاسحبوا المدرِّسين الحاليين منها.

(٥١) أوليمبياد اللغة التركية والثقافية هو مسابقة في اللغة التركية بدءا من عام ٢٠٠٣م وهي مخصصة للطلبة الذين تعلموا اللغة من مختلف أرجاء العالم. يتنافس المشاركون فيما بينهم في مدى إجادتهم للقواعد اللغوية والكتابة والقدرة على التحدث بطلاقة وكذلك معرفة الثقافة والفنون التركية كسرد القصائد والأدبيات والغناء والمسرح.

سبق أن قلت الشيء نفسه لـ«جويك بير (*Çevik Bir*)»، كما أرسلت إلى المسؤولين الذين يحكمون اليوم أخبارًا مماثلة مِرارًا. قلت لهم: ''عَيِّنوا أنتم مديريها ومدرِّسيها إذا أردتم''، فهذه المدارس رمز انفتاح تركيا على العالم، وقد سبق لأُمَّتنا في عهود مختلفة أن انطلقت في مثل هذه المبادرات لكي تنشر القيم الإنسانية النبيلة، وهذه واحدة من تلك المبادرات، حتى إن الدولة العثمانية لم تُوفَّق إلى القيام بمثل هذا الإنجاز رغم اتساع رقعة حمايتها التي غطت نحو ٢٠٠ مليون نسمة. ها قد نشأ أفراد في أكثر من ١٦٠ بلدًا يفعلون ما تفعله السفارات وممثلو الدول، وكذلك وصل بعضهم إلى مواقع مهمَّة، وربما ذكّرناهم بحكمة بليغة، وهي: ''إنكم ما لم تكونوا في كل مكان في العالَم، فلا يمكنكم أن تكونوا في المكان الذي ترغبون أن تكونوا فيه''. هذه قضايا في غاية الأهمية، لا سيما في عالَم العولمة اليوم. فلا تغلقوا هذه المدارس بدافع الغيرة والحسد، أو لأن البعض ينسبها إلى فلان أو عِلّان، بل اشملوها برعايتكم؛ أي خذوها، لتكن لكم، عيّنوا أنتم المدرِّس والمدير، ولتواصل نشاطها. فكما أن العساكر و«جويك بير» لم يعودوا بجواب إيجابي قبل نحو ١٧ سنة، لم يعُد هؤلاء الآن بجواب إيجابيّ. فنحن منفتحون للخيارات كافةً. هذه الخدمات واجب ينبغي القيام به إكرامًا للمعنى الإنساني، وأيًّا كان القائم بها، فمرحبًا به. هذه خدمة طيّبة نثر بذورَها الأولى هؤلاء الإخوةُ والمُحِبُّون والمتعاطفون. وهي هي رؤيتنا، لم تتغير: ''انثر البذور أنت، ثم اذهب، ودع أيًّا كان يقطف ثمارها، أيًّا كان يجني الثمرة. هذه هي فلسفتنا. لا نحمل سوى غاية واحدة، وهي القيام بما ينبغي لإقامة علاقات طيبة بين أُمَّتنا والبشرية كافة. ولن نتخلف عن السير نحو هذه «الغاية السامية»، سنواصل السعي قُدُمًا، إكرامًا لأُمَّتنا وإكرامًا للإنسانية''.